

المبحث الثالث

المداخل النظرية

لدراسات الرأي العام

نظرية دوامة الصمت

تُعدّ هذه النظرية من أكثر نظريات الإعلام علاقة بتكوين الرأي العام في المجتمع. هذه النظرية طورتها الباحثة الألمانية إليزابيث نويل - نيومان Elisabeth Noelle – Neumann، وتشير إلى أن عملية تكوين الرأي العام تتداخل فيها عوامل نفسية واجتماعية وثقافية وسياسية، إضافة إلى تأثير وسائل الإعلام في تكوين الاتجاه السائد حول القضايا المثارة في المجتمع^(١).

(١) حسن عماد مكاوي، وليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة،

والافتراض الرئيس الذي قامت عليه النظرية هو: أن وسائل الإعلام حين تتبنى آراءً أو اتجاهات معينة خلال فترة من الزمن، فإن معظم الأفراد سيتحركون في الاتجاه الذي تدعمه وسائل الإعلام^(١). فعندما تتخذ وسائل الإعلام موقفاً معيناً من قضية أو شخصية، فإن ذلك يؤدي إلى تأييد معظم الأفراد للاتجاه الذي تتبناه وسائل الإعلام، بحثاً عن التوافق الاجتماعي، ومن ثم فإنهم يلجؤون إلى الصمت، ويحجبون آراءهم الشخصية^(٢)، ظناً منهم أن الإعلان عن رأيهم قد لا يحظى بتأييد الآخرين.

هذا الموقف هو ما يعبر عنه كثير من الباحثين بـ (الخوف من العزلة الاجتماعية Social isolation)، وهو اعتقاد فئة من الجمهور أن ما يتبنونه من رأي تجاه قضية معينة سيكون مخالفاً للاتجاه السائد الذي تؤيده وسائل الإعلام، ومن ثم يجعلهم يشعرون بعدم التوافق الاجتماعي، ويضعهم في خانة الأقلية. وبناء على هذا الإحساس من الجمهور، فإن تعريف نيومان للرأي العام يأتي متناغماً مع القلق الذي يشعر به الأفراد. تقول نيومان: إن الرأي العام هو تعبير الأشخاص عن رأيهم تجاه مواقف معينة

(١) المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٢) المرجع السابق.

بطريقة لا تعرضهم إلى العزلة عن المجتمع^(١). وإن تعريف نيومان لـ (دوامة الصمت) يسير أيضاً في هذا الاتجاه، إذ تُعرف هذا المصطلح بأنه تعبير عن التوتر الذي يشعر به الفرد عندما يبوح برأيه أو وجهة نظره خوفاً من أن يكون من الأقلية المخالفة للاتجاه السائد الذي تتبناه وسائل الإعلام^(٢).

نظرية دوامة الصمت ظهرت عام ١٩٧٣م على إثر نتائج الدراسات التي أجريت على الانتخابات السياسية في ألمانيا، وهي الحقبة الزمنية التي كانت تهيمن فيها وسائل الإعلام التقليدية (الصحافة والإذاعة والتلفزيون) على تكوين الرأي العام وتشكيله في المجتمع. لكن الوقت الراهن يشهد متغيرات كبيرة في البيئة الاتصالية التي أوجدت بدائل للتعبير عن الرأي العام وتشكيله في المجتمع غير تلك الوسائل التقليدية، مثل شبكات التواصل الاجتماعي (الفيس بوك، وتويتر، واليوتيوب، والمدونات، وغيرها). هذا المتغير الاتصالي المهم يفرض تساؤلات حول تطوير البناء النظري الذي أُسس عليه نظرية دوامة الصمت.

(1) Xudong liu and Shahira Fahmy. (February , 2011). Exploring the spiral of silence in the virtual world: Individuals willingness to express personal opinions in online versus offline settings. Journal of Media and Communication Studies. Vol.32, pp 45- 57.

(٢) المرجع السابق.

التواصل في العالم الافتراضي عبر الإعلام الجديد (ومنه شبكات التواصل الاجتماعي) يطرح مشروعية إعادة اختبار الفروض التي قامت عليها النظرية في بيئة الإعلام التقليدي⁽¹⁾. فإذا كان العاملان الرئيسان في النظرية، وهما الخوف من العزلة الاجتماعية ومناخ الرأي الذي يطلق أو يقيد حرية التعبير، فإن هذين العاملين لم يختبرا في النقاشات التي تدور بين الجمهور مباشرة عبر وسائل الإعلام الجديد Online discussion.

وعلى الرغم من أن الإنترنت يستخدم الآن بوصفه وسيلة عامة لحث المواطنين على مناقشة القضايا السياسية، إلا أن قلة من الدراسات العلمية حاولت التعرف إلى الكيفية التي يؤثر بها الاتصال الوسيط المباشر Online mediation effect في النموذج الذي قامت عليه نظرية دوامة الصمت⁽²⁾، وبخاصة إذا علمنا أن الجمهور أصبح يعتمد كثيراً على الإنترنت في البحث عن المعلومات السياسية⁽³⁾.

(1) Xudong & Shahira, ibd, pp.4546-

(2) المرجع السابق.

(3) Kaye B. , & J. (2001). online and the know: Uses and gratifications of the web for political information. Journal of Electronic Media, 46, (1), 54 -71.

ومن هذه الدراسات، الدراسة التي أجراها كل من Shahira وXudong، واللذين اختبرا مجموعة من الفروض العلمية، من بينها الشعور المتدني بالعزلة الاجتماعية للجمهور عندما يناقشون قضية اجتماعية معينة عبر التواصل المباشر من خلال الإنترنت⁽¹⁾. ومن الدراسات الحديثة أيضاً دراسة Daniel Lemin التي حاولت التعرف إلى تأثير الاتصال الوسيط عبر الكمبيوتر Computer – mediated communication في تعبير الجمهور عن آرائهم، ومن ثم تكوين رأي عام حقيقي تجاه قضية معينة. وقد ركزت الباحثة على شبكات التواصل الاجتماعي بوصفها اتصالاً وسيطاً وعلاقتها بتكوين الرأي العام⁽²⁾.

والخلاصة، أن نظرية (دوامة الصمت) طورتها الباحثة الألمانية اليزابيث نيومان. وتفترض أن وسائل الإعلام، حين تتبنى آراءً أو اتجاهات خلال مدة زمنية معينة، فإن الأفراد يتحركون في الاتجاه الذي تدعمه وسائل الإعلام، ويؤيدونه؛ بحثاً عن التوافق الاجتماعي. أما المعارضون لهذا الاتجاه، فإنهم يتخذون موقف الصمت تجنباً للعزلة الاجتماعية أو

(1) Xudong & Shahira (2011) , ibid.

(2) Daniel Lemin. (2010). Public opinion in the social media era: Toward a new understanding of the spiral of silence. A master thesis. Gonzaga University.

لدواعي الخوف، ولذلك يحجبون آراءهم الشخصية ظناً
منهم أن ما تعرضه وسائل الإعلام يعبر عن الرأي السائد في
المجتمع، ومن ثم يمكن القول: إن ما تعرضه وسائل الإعلام
ليس بالضرورة هو الرأي الحقيقي للجماهير.

نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين

أول ظهور لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين -The two-step theory هو ما بلورته نتائج الدراسة التي أعدها الباحثون في جامعة كولومبيا الأمريكية بول لازارزفيلد Paul Lazarsfeld، وبيرنارد بيرلسون Bernard Berelson وهيلين جوديت Helen Gaudet بعنوان: اختيار الشعب The People's Choice التي أجريت على الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام ١٩٤٤م. إذ كان من أهم نتائجها التي لفتت نظر الباحثين أن قادة الرأي كان لهم الأثر الأكبر في اتجاهات الناخبين أكثر من الأثر الذي كان متوقعاً أن تحدثه وسائل الإعلام الجماهيرية، وبخاصة الإذاعة والصحف^(١)، وفسّر الباحثون هذه النتيجة بقولهم: إن الرسالة الإعلامية لم تكن ذات تأثير مباشر في الناخب، وإنما يكون التأثير عبر متغير وسيط هو «قادة الرأي». فقادة الرأي يتعرضون لمضامين ووسائل الإعلام، ويتأثرون بها^(٢)، ثم

(1) DeVito, Joseph A. (1985). P. 433.

(٢) ليس بالضرورة أن يكون التأثير وفق مراد القائم بالاتصال، وإنما قد يكون مخالفاً له، وموافقاً لتوجهات قادة الرأي، وقناعاتهم، ومن ثم يمارس قادة الرأي دورهم بناءً على هذه القناعات.

ينقلون هذا التأثير بدورهم إلى الجماهير عبر قنوات اتصالية متنوعة أهمها الاتصال الشخصي.

وبناءً على نتائج هذه الدراسة طور لازارزفيلد Lazarsfeld وكاتز Katz عام ١٩٥٥ م نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين التي قامت على الفرضية الآتية^(١): أن المعلومات التي تنشرها وسائل الإعلام تُنقل إلى الجمهور عبر مرحلتين: قادة الرأي الذين يتعرضون غالباً للرسائل الإعلامية، ومن ثم تنتقل من قادة الرأي إلى الجمهور عبر قنوات اتصالية غير رسمية Informal Communication، وبخاصة من خلال الاتصال الشخصي Interpersonal Communication. فالجمهور إذن يتأثر بطريقة غير مباشرة، بل إن هذا التأثير غير المباشر ينسجم مع تفسير قادة الرأي للرسالة الإعلامية أكثر من التفسير المقصود للرسالة من مصدرها الأصلي (وسائل الإعلام)^(٢).

ومنذ ظهور هاتين الدراستين (دراسة عام ١٩٤٤، وعام ١٩٥٥) حظي متغيرا الاتصال الشخصي وقادة الرأي باهتمام كبير من الباحثين المتخصصين في دراسات الاتصال

(1) Infante, Rancer, & Womack. (1997). P. 361.

(2) ibid.

السياسي، وبخاصة ذلك النوع من الدراسات الذي يتناول تأثير قادة الرأي في المشاركة السياسية الشعبية^(١).

ولما كانت نظرية ترتيب الأولويات من أهم النظريات التي طبقتها الباحثون في دراسات الاتصال السياسي^(٢)، فقد عمد كثير منهم إلى المزوجة بين الفروض التي قامت عليها هذه النظرية ونظرية انتقال المعلومات على مرحلتين لمعرفة مدى تأثير الجمهور بأولويات القضايا التي ترتبها وسائل الإعلام لقادة الرأي، ففي دراسة بعنوان: (من يرتب الأولويات؟ نظرية ترتيب الأولويات على مرحلتين) اختبر كل من بروسس Brosius ووايمان Weimann أربعة نماذج لانتقال ترتيب الأولويات على مرحلتين أوضح فيها الباحثان الدور الذي يقوم به قادة الرأي بوصفه متغيراً وسيطاً ومهماً في انتقال المعلومات عن الأحداث والقضايا بين وسائل الإعلام والجمهور.

وكان من أهم نتائج الدراسة أن لقادة الرأي دوراً مؤثراً، ليس فقط في نشر القضايا بين الجمهور، بل حتى التأثير في أولويات الوسائل الإعلامية نفسها^(٣).

(1) Weimann, Gabriel. (1994) P. 181.

(٢) البشر، مقدمة في الاتصال السياسي، مرجع سابق، ص ٤٢.

(3) Brosius & Weimann, (1996), P. 561.

هذه النتيجة هي مؤكدة لدراسة ساندرابول روكيتش Sandra Ball-Rokeach عام ١٩٨٥ التي أشارت فيها إلى حقيقة أن الأشخاص النشطين في بيئة الاتصال الشخصي يتأثرون سلباً أو إيجاباً برسائل الوسيلة الإعلامية، ثم ينعكس هذا التأثير على الجمهور^(١).

إذن قادة الرأي هم المتغير الوسيط والأهم في التراكم العلمي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين، وغيرها من نظريات التأثير الإعلامي التي زاوجت بين هذه النظرية وغيرها من النظريات الإعلامية المعروفة. وقادة الرأي هم المتغير الوسيط والأهم، باعتبار أن هناك أشخاصاً آخرين يمثلون متغيراً وسيطاً في انتقال المعلومة بين وسائل الإعلام والجمهور، لكنهم لا يرقون إلى التأثير الذي يحدثه قادة الرأي، ولا تنطبق عليهم كثير من السمات والأوصاف التي ذكرها الباحثون في دراساتهم عن قادة الرأي^(٢)، بل إن قادة الرأي أحياناً يوصفون بـ (الأشخاص المؤثرين) Influentials في دراسات المتخصصين في بحوث الرأي العام تأكيداً لتمييزهم عن الأشخاص غير

(1) 1985), P. 501) Ball-Rokeach.

(2) Wanta, W., & Wu, Y. (1992) Interpersonal Communication and the Agenda-Setting Process. Journalism Quarterly. 69, 856 - 867.

المؤثرين الذين يكتفون بنقل المعلومة فقط دون محاولة تبنيها في نقلها للجمهور، أو إعادة تفسيرها، أو حتى رفضها⁽¹⁾.

وقد حدد بعض الباحثين ثلاث سمات رئيسة لقادة الرأي المؤثرين، هي على النحو الآتي⁽²⁾:

١- الصفات الشخصية لقادة الرأي، مثل المكانة الاجتماعية، والتعليم، وما شابهها.

٢- ثقافة قادة الرأي عن القضية أو القضايا التي تثيرها وسائل الإعلام.

٣- القاعدة الجماهيرية لقادة الرأي، وتعني قدرة قادة الرأي على التواصل مع عدد كبير من الجمهور.

وإذا كان التمييز بين قادة الرأي المؤثرين وغيرهم من الأشخاص الذين يمثلون وسيطاً في نقل المعلومة بين وسائل الإعلام والجمهور، وارداً في القضايا العامة التي تعرضها وسائل الإعلام، فإنه في مجال القضايا السياسية يتأكد بشكل

(1) Wiemann, G. (1991). The Influentials: Back to the Concept of Opinion Leaders. Public Opinion Quarterly. 55, 267 - 279.

(2) Mattew, C. Nisbet and John E. Kotcher. (2009). A two-step flow influence: Opinion leaders campaigns on climate change. science Communication , 30.

أكبر. ذلك أن قادة الرأي السياسي في المجتمع لهم سمات وخصائص تختلف عن غيرهم من قادة الرأي في المجالات التنموية الأخرى. فهذا النوع من القادة يؤثر في القضايا التي تمثل الاهتمامات المجتمعية، وهي قضايا تُعدّ قاسماً مشتركاً بين فئات الجمهور المختلفة، ولا تقتصر على فئة بعينها، كالذين لهم اهتمامات بالمبتكرات الحديثة، أو القضايا التنموية الآنية المحددة بأزمة معينة⁽¹⁾.

وعلى الرغم من أن (قادة الرأي) مفهوم يكتنفه الغموض⁽²⁾، إلا أن عدداً من الباحثين اقتحم الجدل، واستنتج منه تعريفات محددة ساعدت على تجلية الرؤية في ذلك، ومنهم ماكلين ديكل Mclean Deckle الذي أوضح أن قادة الرأي هم «الأشخاص الذين يعبرون عن الاتجاه العام في المجتمع تجاه قضايا مُلحة»⁽³⁾. وهذا المفهوم يتفق مع ما توصل إليه كل من ديانا وبيث وتشارلز Diana, Beth and Charles في وصفهم لقادة الرأي المؤثرين بأنهم المدركون للقضية التي يريدون الحديث عنها، وهي

(1) Smith, K.A. (1987) Newspapers Coverage and Public Concern About Community Issues. Journalism Monograph. Vol. 101 - 134.

(2) Infante, Racer, Womack, ibid, P. 362.

(3) Mclean, Deckle. (2003). Determining what Constitutes Opinion. P. 34.

القضية التي تمثل صدارة اهتمامات المجتمع^(١). وحديث قادة الرأي عن القضايا المجتمعية يأتي في سياق العملية التأثيرية، أي أن يقصد بها إحداث أثر في الرأي العام لتحقيق مصلحة عامة، بتعبير روبرت وزملائه Robert, et al^(٢).

ويمكن القول: إنه ليس لقادة الرأي سمات دائمة تميزهم عن غيرهم في المجتمع؛ لأن قيادة الرأي ليست علامة ظاهرة يعرف بها أصحابها، لكنها إدراك لدور معين في عملية الاتصال^(٣)، إذ يتبين أثرهم في التفاعل الاتصالي داخل المجتمع^(٤)، وإن ذهب بعض الباحثين إلى القول: بأن قادة الرأي يمارسون تأثيرهم في الآخرين بحكم وظائفهم الرسمية، أو ثقة الآخرين بهم، أو تمتعهم بمصداقية عالية^(٥).

والخلاصة أن قادة الرأي في مفهوم نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين هم الأشخاص المؤثرون في الرأي العام، الذين

(1) Silver, Diana; Weitzman, Beth & Brecher Charles. (2002). Setting an Agenda for Local Action: The Limits of Experts. P. 38.

(2) Buchalski, Robert M., Gibson, Jane Witney, & Tesone, Dana. (2000). The Leaders as Mentor. P. 41.

(3) Littlejohn, Stephen W. (1983). Theories of Human Communication. P. 274.

(4) Chan, Kenny K. & Misra, Shekar. (1990). Characteristics of the Opinion Leader: A New Dimension. P. 53.

(٥) تعريف الحزب الوطني الديمقراطي المصري www.ndp.org

يمثلون المتغير الأهم في البناء المعرفي لهذه النظرية، بوصفهم يتلقون الرسالة من وسائل الإعلام، ثم ينقلونها إلى الجمهور وفقاً لرؤيتهم الشخصية وتفسيرهم لهذه الرسالة بقصد إحداث أثر معين قد يتفق مع الرسالة الأصلية أو يختلف معها. وليس لقادة الرأي في هذه النظرية سمات محددة متفق عليها، وإنما هم أشخاص يظهرون في سياق العملية الاتصالية بوصفهم مؤثرين في القضية التي يتحدثون عنها، ومؤهلين علمياً ومعرفياً بطريقة تكسبهم المصداقية، وتساعدهم على إحداث الأثر المطلوب. وحيث إن هذه النظرية نشأت من خلال دراسات ذات طبيعة سياسية^(١)، فإن وصف (قادة الرأي) ينصرف -غالباً- إلى (الرأي السياسي) في التراكم العلمي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين.



(١) تقدم الحديث عن ظروف نشأة نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين. انظر: دراسة لازارزفيلد وزملائه التي سبق ذكرها.